كلية الآداب واللغات

قسم الفنون

السنة الثانية ليسانس، دراسات سينمائية/ السداسي الرابع

مقياس: التركيب السينمائي

المحاضرة رقم 02 بعنوان:

" البدايات التاريخية للمونتاج في السينما المبكرة"

عصر السينما ما قبل المونتاج:

في العقد الأول من تاريخ السينما (منذ عام 1895 مع الأخوين لوميير)، لم يكن "المونتاج" بمعناه الفني موجودا. كانت الأفلام تتكون من "لقطة واحدة(One-Shot Film) "، حيث توضع الكاميرا أمام الفعل وتستمر في التصوير حتى ينتهي الفيلم أو ينفد الشريط. كانت السينما في هذه المرحلة مجرد أداة لتسجيل الواقع، أو "مسرحا مصورا."

المرحلة الأولى: جورج ميلييس واكتشاف "القطع"

بدأ المونتاج كـ "خدعة" وليس كأداة سردية. اكتشف الساحر الفرنسي جورج ميلييس بالصدفة أن إيقاف الكاميرا ثم إعادة التصوير يجعل الأشياء تظهر أو تختفي.(Stop-Motion)

وقد قدم ميلييس فكرة "تتابع اللقطات" لربط المشاهد (مثل فيلمه "رحلة إلى القمر")، لكنه ظل أسيرا للكادر المسرحي الواسع؛ حيث ينتهي المشهد تماما قبل أن يبدأ التالي.

المرحلة الثانية: مدرسة بر ايتون والقطع داخل المشهد

بدأ المخرجون الإنجليز (مثل جيمس ويليامسون وجورج سميث) في كسر جمود الكادر السينمائي، وقد ظهرت أولى محاولات الانتقال من لقطة عامة إلى لقطة قريبة (Close-up) داخل نفس المكان لتوضيح التفاصيل، كما في فيلم "نظارات الجد(Grandma's Reading Glass) "، مما خلق أول إدراك بأن الكاميرا يمكن أن تكون "عينا" تختار ما يراه المشاهد.

المرحلة الثالثة: إدوين بورتروبناء القصة

يعتبر إدوين بورتر (في استوديوهات إديسون) هو من وضع حجر الأساس للمونتاج كبناء درامي في فيلمه الشهير "سرقة القطار السريع.(The Great Train Robbery) "، وقد اعتمد على فكرة:

1. **المونتاج المتوازي** :قدم فكرة الانتقال بين حدثين يقعان في نفس الوقت (المجرمون يهربون والشرطة تطاردهم).
2. **الاستمرارية** :أثبت بورتر أن المعنى لا يتولد من اللقطة الواحدة فقط، بل من "تراكم اللقطات" بجانب بعضها البعض.

المرحلة الر ابعة: د. و. جريفيث وتقنين اللغة

جاء ديفيد وارك جريفيث ليجمع كل هذه البدايات ويحولها إلى "قواعد"، إذ يُشار إلى جريفيث بصفته المبدع الذي حرر الكاميرا نهائيا. وقد اعتمد على:

- **تفتيت المشهد** :قسّم الفعل الواحد إلى زوايا متعددة (لقطة بعيدة، متوسطة، قريبة) لخلق إيقاع نفسي.

- **مونتاج الإنقاذ في اللحظة الأخيرة** :برع في تسريع وتيرة القطع (Short cuts) لزيادة التوتر الدرامي.
- **اللقطة القريبة كأداة تعبيرية** :استخدمها لإظهار الانفعالات الداخلية للممثل، وليس فقط لتوضيح الأشياء.

فلسفة المونتاج المبكر:

إن التحول الجذري في تاريخ السينما المبكرة لم يكن مجرد استبدال لآلات القطع اليدوية بتقنيات أكثر دقة، بل كان تحولا في "فلسفة الرؤية" ذاتها، حيث انتقل المونتاج من كونه مجرد وصل فيزيائي لشرائط الفيلم بهدف إطالة مدة العرض، إلى لغة فكرية وسردية متكاملة تعتمد في جوهرها على أن السينما ليست ما يحدث داخل اللقطة الواحدة من تمثيل وديكور، بل هي ذلك المعنى السحري الذي يتولد بين اللقطات وفي الفجوات التي يملؤها خيال المشاهد.

هذا التكامل البنائي هو الذي أسس لظهور السرد السينمائي ككيان مستقل عن المسرح، حيث أصبحت اللقطة بمثابة الكلمة والجملة في النص الأدبي، والمونتاج هو النحو الذي يربطها ليخلق إيقاعا وتوترا ومعنى يتجاوز حدود الواقع المصور، وهو التطور التأسيسي الذي لم يقنن القواعد الدرامية فحسب، بل مهد الطريق لاحقا للمدرسة الروسية بقيادة آيزنشتاين لتحويل المونتاج من أداة لحكاية القصص إلى أداة سياسية وفلسفية كبرى قادرة على صياغة المفاهيم الفكرية المجردة من خلال صراع الصور وتصادمها.

المكتبة البيبليوغرافية:

- فن المونتاج السينمائي، كاريل رايس، تر: أحمد الحضري
- اللغة السينمائية والكتابة بالصورة، مارسيل مارتن.